ندوة النصيرات

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أي حق يدافع أي امرئ في حياته إن لم يدافع عن حقه في وطن آبائه وأجداده ؟ وأية قيمة تبقى له إذا هانت عليه نفسه كما هانت على الطغاة المعتدين ؟ وأي طعم وأي لون وأي معنى وأي مغزى لحياته إن لم تكن العقيدة والجهاد هي المعنى وهي المبنى ؟ إن الكائن الذي لا يستفزه الظلم والعدوان ولا يملك ردة فعل على الأذى الذي ينوبه لهو كائن ميت أو في حكم الميت .

أما الشعب العربي الفلسطيني فلم يكن في يوم من الأيام إلا شعبا مجاهدا يأبى الرضوخ للضيم ويحمل ضميرا تتفاعل فيه معاني الثورة والاستعداد للفداء والتضحية . فالمقاومة هي لب وجوهر الموقف الشعبي الفلسطيني منذ تصدى الفلسطينيون للمؤامرة البريطانية . الصهيونية . العالمية التي تلخصت في شحن يهود أوروبا شحنة بعد شحنة إلى فلسطين ومساعدتهم على مزاحمة أهل البلاد في بلادهم والتمكين لهم ببناء جيش مقاتل وتسخير قوانين جديدة تمنحهم مركزا ممتازا على حساب أهل البلاد ، ثم إقامة دولة للعدوان والاغتصاب واقتلاع الفلسطينيين إلى خارج بلادهم . وتصدى الفلسطينيون للمؤامرة سياسيا من خلال المؤتمرات والمؤسسات والمواقف . وتصدوا اجتماعيا بالثورات المتتالية منذ انتفاضة النبي موسى عام ١٩٢٠ فثورة يافا عام ١٩٢١ فثورة . وتصدى الفلسطينيون اقتصاديا وماليا من خلال تأسيس مشاريع مصرفية وطنية وغير ذلك .

لم يكن الوطن قد سلب وضاع في ذلك الحين . ولكن الفلسطينيين رأوا من الأمارات ما جعلهم يتخوفون من ضياعه . أما الآن فالضياع الذي نتخوف

منه هو ضياعنا إن لم نسترد الوطن . ويظل الإنسان مهددا بالضياع إذا ضاع وطنه .. إلا إذا عاش من أجل الهدف الوحيد الجدير بحياته وهو العودة . والعودة حق كالشمس . فما من جناية هي أكبر وأشنع وأفظع من جناية سلب الأوطان . فمن سلب وطنك فقد سلب منك كل شيء واعتدى على جميع حقوقك دفعة واحدة : وأولها حق الحياة وثانيها حق الحرية وثالثها حق الملكية . وما تبقى فهي حقوق ثانوية .

العودة هي التي تستعيد لنا هذه الحقوق . وبعض الناس يبرهنون على أحقيتنا بالعودة عن طريق الاستناد إلى القرار رقم ١٩٤ من قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٨ الذي نص على وجوب السماح بالعودة في اقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى بيوتهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر . وبعض الناس يستعينون بالقرار رقم ٢٦٧٢ لعام ١٩٧٠ والقرار رقم ٣٢٣٦ لعام ١٩٧٤ من قرارات الجمعية العامة اللذين أكدا على حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني وربطاه بحق العودة وإقامة الدولة المستقلة . ولدينا من الناحية الأخرى ببغاوات رسميون كبار ما انفكوا يكررون كلاما تافها عن رؤية الرئيس المشهور بالغباء والوقاحة لدولتين متجاورتين تعيشان في سلام . كأن لمن كان مثله رؤية بحق وحقيق . وما هو إلا ببغاء عقلها في أذنيها وفي حاسوب شركاتها الرأسمالية .

كلا أيها العائدون ! إن قرارات الأمم المتحدة ليست منشئة لحقنا ولكنها كاشفة عنه . وإن جميع المشروعات الدولية القديمة والحديثة التي تلاعبت بحقوقنا إنما تأسست على الباطل وعلى التحيز وطبقا لعقلية المؤامرة . وحق العودة

حق طبيعي ليس بحاجة للاستدلال . ومثلما يقولون : أنا أفكر فأنا موجود نقول : أنا موجود فالعودة حقي . وحتى لو ضمني قبر فالعودة حق لعظامي إلى مدينتي وقريتي .

.....

أيها العائدون :

ومهما تطل أيام البعد عن الحمى المستباح تظل المسافة قصيرة ما بين القلب الفلسطيني اللاهف وبين كل مدينة وقرية في سواحل فلسطين وسهولها وفي جبالها وفي أغوارها وفي صحرائها ونقبها .. شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .فهو كما تعلمون وطن رائع باركه الله وأفاض عليه الجمالات وجعله شاهدالتاريخ ومهد الرسالات ولكل مدينة وقرية في فلسطين شخصيتها وخصائصها وتاريخها وتضاريسها وكله جميلة جميلة لا تملها العين ولا يريد أن يبرحها التذكار .

وللشاعر مراكبه وسفنه التي تمخر البحر ، وله دباباته ومدافعه التي تسقط على الحصون ، وله طائراته ومناطيده التي تعبر الحدود بلا جواز ولا تصريح .

. لقد شاقني بالأمس سهلنا الأخضر وكان لي نحو **يافا** هذا الإبحار الهادئ :٥

. وما كدت أبرحها حتى وصلتني دعوة مفتوحة من قارئ يتلو القرآن الكريم في جامع **اللد** ، فأرسلت برقية تقول ١٤:

. ونادتني أختها **الرملة** وهي ليست منها ببعيد فركبت قطاري إليها ١٥:

. وقبل أن أهبط منها إلى غزة وجباليا وخانيونس ورفح تلقيت من **حيفا** برقية عاجلة تقول : زرني فأنا أيضا على الساحل . فقلت : ولكنني احترت قليلا في أمرك ، لأن الكرمل ألبسك شخصيتك الجبلية بينما أفصح الشاطئ عن طابعك الساحلي . فأنت لؤلؤة متوسطية باهرة وأنت إطلالة جبلية ناظرة . فأغضت حيفا باسمة ووجدتني أهرع إليها مجذوبا بقوة ٦ :

. وكانت لي هناك التفاتة إلى **عكا** التي كانت عاصمة بطل فلسطيني اسمه ظاهر العمر والتي أوقفت زحف نابليون في الشرق وجددت صمود صلاح الدين بصمود أحمد الجزار . وقلت لعكا كلمتي ، فصاحت بي **صفد** صيحة من قمة الجرمق شرقا ، فرفعت صوتي آملا أن يصل إلى جبل هو الأعلى في فلسطين . وهيهات أن يرقى صوتي إلى ذلك السمو ٢٥ :

وقبل أن أعود إلى الأرض وقعت عيني جنوبا على مشهد بهيج . حيث يترقرق الماء في بحيرة **طبريا** . فإذا بي أتمتم هابطا ٢٩ :
ولامست أقدامي الأرض . وما زالت إلى الجنوب عروس أخرى من عرائس فلسطين تنتظر من يحدو موكب عرسها . وتلك **بيسان** التي سبق لفيروز أن توجعت لوجعها وغنت حنينا إليها . ووجدتني أطير حولها وأنشد ١١:

وهنا بلغت بي رحلتي الشمالية إلى الجليل وغوره الخصيب غايتها فلم أر بدا من أن ألوي جناحي جنوبا بعدما قلت قصيدتي في الناصرة وسمعت نداءات من جنين ومن طولكرم ومن نابلس ، واطمأننت إلى أن الإذاعات رددت قصائدي فيها . ثم انتقلت إلى القلب في وسط فلسطين وكانت لي وقفات في بيت المقدس ورام الله والبيرة وأريحا وقلقيليا وعرجت على أم الفحم وقلت لكل من هذه المغاني قصيدتي مسرعا قبل أن يستغرقني الوقت فلا أفطن إلى **بئر السبع** التي بح صوتها وهي تنادي فناشدت من أجلها كل صاحب نخوة :٢٤

شكرا لحسن استماعكم . وإنا لمدينون للاستاذ الموسيقار المقدسي حسين نازك الذي لحن جميع قصائد المدن الفلسطينية ، ومدينون أيضا لإذاعة صوت القدس من دمشق التي مولت إنتاج أسطوانتها الأولى . وقد كان من حظ مدن الضفة والقطاع أن قصائدها أذيعت من بعض الإذاعات العربية . أما المدن المحتلة عام ١٩٤٨ فيبدو أن الاعتراف الضمني بإسرائيل من قبل أنظمتنا المختلفة قد حال دون ذكرها . فلها الحب والولاء والاعتذار وتجديد العهد منا هنا : في هذا القطاع الذي ظل على عهد الوفاء .

وسنظل نكتب الأشعار ونناشد قلب الأماكن حتى يوم العودة الذي نظنه أقرب من أي وقت آخر ولو كره المجرمون ولو قالت الظواهر غير ذلك ولو تألبت علينا قوى الطغيان والبغي .